العوائق المعرفية إزاء تأريخ بدايات الفلسفة العربية

د. انطوان سيف (*)

١ - دى بور : أول محاولة لبيان تأريخ الفلسفة الإسلامية :

لم يكتب أحد تاريخاً عاماً للفلسفة العربية قبل القرن العشرين . . ففى بداية هذا القرن كتب المستشرق الهولندى ت . ج . دى بور باللغة الألمانية «تاريخ الفلسفة فى الإسلام»(١)، حيث يقول فى مطلع مقدمته : «**هذه أول محاولة لبيان تاريخ الفلسفة الإسلامية فى جملتها**». والمؤلف يعى منزلة كتابه فى تاريخ البحوث حول هذه الفلسفة فيقول بثقة : «**يمكن أن يعد كتابى هذا فتحاً جديدا**»(٢). ويلفت معرِّب الكتاب الانتباه إلى أننا، لغاية نشر الترجمة العربية عام ١٩٣٨ ، لا نعرف فى لغة العرب كتاباً ظهر فى تاريخ الفلسفة الإسلامية يستحق هذا الاسم(٣).

وعلى الرغم من أن كتاب دى بور «**ما يزال أفضل عرض مجمل** للفلسفة الإسلامية، بالألمانية والإنجليزية»(٤)، فإنه عندما عالج مسألة بدايات الفلسفة العربية الإسلامية، لم يجد أحداً قبل الفيلسوف الكندى غير المتكلمين الأوائل الذين تأثروا بالجدل اللاهوتى الفلسفى ما بين المذاهب المسيحية المختلفة فى ما بينها، وذلك فى الشام وبغداد والبصرة ، وبعناصر فلسفية محضة من المذاهب الغنوصية المنتشرة عهد

(*) أستاذ الفلسفة - الجامعة اللبنانية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - لبنان.

(١) T.J. De Boer . Geschichte der philosophie im Islam . Stuttgart. 1901. والذى ترجم إلى الإنجليزية ونشر عام ١٩٠٣ ، وعرَّبه محمد عبدالهادى أبو ريده ونشره فى القاهرة.

(٢) وأشار المؤلف إلى أن الفرنسى سولومون مونك وضع فى باريس عام ١٨٥٩ كتاباً بعنوان : «أخلاط من الفلسفة العربية واليهودية»: قال دى بور: كتابى ليس" إكمالاً لما سبقه من مؤلفات" فى الموضوع نفسه ، ولكنه مع ذلك لم يشر إلى كتاب أ. حوردان بالإنجليزية: «بحوث نقدية فى ترجمات أرسطو» (العربية وغيرها) الصادر عام ١٨١٩ .

(٣) مقدمة المترجم، ص د.

(٤) كما قال ماجد فخرى فى كتابه : تاريخ الفلسفة الإسلامية بعنوان : AHistory of Islamic Philosophy الذى عربه كمال اليازجى ونشره فى «الدار المتحدة للنشر» ؛ بيروت ١٩٧٤ ، والمقصود «بأفضل عرض» لغاية تاريخ تعريبه.

ذاك وببعض الترجمات عن اليونانية ، وبخاصة فى الاحتكاك الشفهى أكثر من الكتابى .

إلا أن هذه المواقف للمؤلف تعدُ أدلة غير مباشرة بغالبيتها ؛ فهو يعترف بأنه لم يخلص إلينا إلاَّ القليل من الآثار المكتوبة المتعلقة بتلك الحركة فى أوائل نشأتها[٥] .

هذا التفسير لنشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ، الذى تتسع دائرة القائلين به من بين المستشرقين أولاً[٦] ، ومن ثم ما بين العديد من الباحثين العرب والمسلمين[٧] ، كان يفتقر إلى النصوص العربية العائدة لتلك المرحلة، بأسلوبها الأصلى ومصطلحاتها.

٢ - فلاسفة المعتزلة :

إلا أن ذلك كله مفقود ، ومنذ الفترة القريبة اللاحقة لها، وهو يشى بالطبع بالردود العدائية التى تعرَّض لها المعتزلة فى ما بعد والتى أتت على الكثير من آثارهم المكتوبة ، وبخاصة مؤلفات اثنين من أشهر ممثليهم وهماً العلاف والنظام[٨] اللذان كانا معاصرين للكندى، واللذان «لو بقيت لنا آثارهما لكانا حتماً من أعلام الفكر الفلسفى العربى الأوائل. فعناوين كتب **العلاَّف** (المفقودة) المذكورة فى كتاب الفهرست فتشير إلى الاهتمامات الفلسفية لصاحبها، مثل: كتاب فى خلق الشىء من شىء (وهو دعوى صريحة إلى القول يقدم العام تظهر بدون موارية فى عنوان الكتاب)؛ وكتاب الجواهر والأعراض؛ وكتاب على السوفسطائية (كذا، وبالحرف!)، «كتاب الإنسان ما هو» . . ومن عناوين كتب **النظام** (المفقودة هى أيضاً) كتاب الطفرة (وهى النظرية الفلسفية التى اشتهر بها)، وكتاب التولد، كتاب المنطق، كتاب الجواهر والأعراض، كتاب خلق الشىء؛ كتاب الحركات.

---

(٥) دى بور ؛ ص ٤٩ ، وقد توسع مسيحيو الشرق فى تلك المرحلة. ببحث مسألة الاختيار والإدارة، كما قال.

(٦) يذكر أبو ريدة منهم هاربروكر (haarbruecker) ، وريتر (Ritter) ، ورينان (Renan) - (م.س؛ ص٤٨، هـ١).

(٧) أمثال أحمد أمين فى بحثه عن القدرية فى «فجر الإسلام» ، ط٣ (١٩٣٥م) ص ٣٤٧؛ ومحمد عبدالهادى أبى ريدة، وعبدالرحمن بدوى. . (م.س؛ ص.ن).

(٨) أبو الهذيل العلاف توفى ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م عن حوالى مائة سنة. أما ابراهيم النظام، الذى كان أصغر منه سناً ، فتوفى ما بين ٢٢١-٢٣١هـ/ ٨٣٥م. أى تقريباً الفترة ذاتها التى توفى فيها الجاحظ ٢٥٣هـ/ ٨٦٨م.

ولكن متكلمى المعتزلة «اتهموا» من خصومهم، « بالتفلسف»، حيث يبدو أن الفلسفة كانت متهمة بالكفر، فى البيئة العربية الإسلامية، منذ بداياتها الأولى وابن النديم نفسه يقول فى الفهرست عن النظام أنه :«ذهب فى شعره مذهب الكلام الفلسفى»[٩]، والشاعر المعروف أبو نواس قصد النظام نفسه فى بيته الشعرى الشهير:

فقُلْ لمن يدعى فى العلم فلسفة ذكرت شيئاً وغابت عنك أشياء[١٠]

وعن النظام أيضاً قال عبدالقاهر الجرجانى :«خالط بعد كبره قوماً من ملحِدة الفلاسفة. . وأخذ عن هشام (بن الحكم الرافضى) وعن ملحدة الفلاسفة قوله بإبطال الجزء الذى لا يتجزأ ، ثم بنى عليه قوله بالطفرة التى لم يسبق إليها وهمُ أحد قبله. . ودون مذاهب الثنوية وبدع الفلاسفة وشُبَه الملحِدة فى دين الإسلام[١١].

هذه الإشارات الصريحة والسلبية إلى «ادعاء الفلسفة» ، و«بدع الفلاسفة»، و«الكلام الفلسفى»، و«مخالطة الفلاسفة»، لا تترك مجالاً للشك فى أن أفكار «الفلسفة» كانت متداولة فى البيئة العربية الإسلامية، وكان لها أنصار وخصوم، قبل زمن الكندى، والسبب الأرجح فى ذلك «من ضياع الكتابات الفلسفية الأولى باللغة العربية ومصطلحاتها الأولى) ان الفلسفة باسمها الأعجمى المعرَّب، كانت متداولة باللغة العربية، كتابةً ولا سيما شفاهة، فى أوساط المترجمين السريان الذى لهم باع طويل فى علوم الفلسفة يمتد إلى أكثر من قرنين قبل الإسلام، نقلوا عدداً من مؤلفاتهم إلى لغتهم السريانية، وظلوا يمارسون هذه الترجمة إلى السريانية على مدى القرون الأولى من الإسلام حيث باتوا يعيشون فى المجتمع العربى الإسلامى وفى ظل دولته الناشئة القوية ، يقول الشيخ مصطفى عبدالرازق عن حق، عند كلامه على الكندى ولم سمى «بفيلسوف العرب» :«لأنه بلا ريب أول مسلم عربى اشتغل بالفلسفة التى كانت إلى عهده وقفاً على غير المسلم العربى»[١٢].

---

(٩) الفهرس؛ ص ٢٠٦.

(١٠) الفهرست، ص.ن.

(١١) الفَرْق بين الفِرَق ؛ ص٧٩. ذكرها عبدالرحمن بدوى ، مذاهب الإسلاميين، بيروت؛ دار العلم للملايين، ط٣، ١٩٨٣؛ جـ١، ص٢٠١-٢٠٢.

(١٢) مصطفى عبدالرازق ، خمسة أعلام من الفكر الإسلامى، دار الكتاب. لاب، لات.

٣ - الكندى فيلسوف العرب :

فإذا كان الكندى أوَّل عربى مسلم اشتغل علناً «بالفلسفة» فهذا القول لا يتضمن الاعتقاد البتة بأن الفلسفة فى البيئة العربية الإسلامية لابدَّ أنها نشأت مع الكندى مثل هذا الاعتقاد يضرب صفحاً عن كل الدلائل غير المباشرة التى تؤكد تداول الفلسفة فى هذه البيئة قبل الكندى، ولا يُبقى من الدلائل المقبولة سوى النصوص التأليفية الفلسفية الأقدم الباقية بالعربية، دون سواها؛ وأكثر هذه يُنسب كما هو معروف إلى الكندى كما يُنسب أيضاً وضع المصطلحات الفلسفية العربية ! ويقف وراء تلك الصورة «الريادية» للكندى فى ميدان الفلسفة العربية ما ورد عنه فى كتاب «الفهرست» الذى وضعه صاحبه (ابن النديم) بعد أكثر من قرن على وفاة الكندى، والذى يحوى سيرة مضخَّمة عن الكندى لا يوازيه فيها أىّ كلام عن أى مؤلف غيره![١٣]. الأمر الذى جعل الباحثين فى تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية يبنون مواقفهم مع الكندى و«ريادته» المزعومة بناءً على ما ورد فى «الفهرست» من غير تدقيق نقدى! .

ودى بور يجعل الاسم الأول فى تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية هو الكندى! وهذا ليس مجال خلاف بين الباحثين لجهة الوصف، أمَّا من حيث القيمة الفلسفية فالخلاف ما زال مستمراً بين الباحثين حول الريادة الفعلية فى هذه الفلسفة العربية: هل هى الكندى، أم للفارابى الذى عاش بعد بحوالى ثلاثة أربع القرن؟

لقد أثر كتاب دى بور فى كل مؤرخى الفلسفة العربية لعقود كثيرة لاحقة. فأطروحاته فى الغالب هى «المتفق عليها! ومنها موقفه السلبى من دور المترجمين والمفكرين والعلماء السريان فى نشأة الفلسفة العربية. والحال أن دى بور صاحب «أول محاولة لبنيان تاريخ الفلسفة الإسلامية فى جملتها» كما قال، لم يقرأ النصوص

---

(١٣) راجع بحثنا بعنوان «دور كتاب الفهرست لابن النديم فى تأريخ بداية الفلسفة العربية» فى كتابنا «وعى الذات وصدمة الآخر فى مقولات العقل الفلسفى العربى» دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠١، الفصل الخامس، ص ص ١٤٣-١٨٥، وراجع أبحاثنا الأخرى عن الكندى الفيلسوف.

الفلسفية العربية الأولى التى وضعها السريان، ولم يقرأ حتى مؤلفات الكندى بلغتها الأصلية العربية بل بترجمات وسيطية إلى اللغة اللاتينية. أما اكتشاف العدد الكبير من رسائل الكندى بلغتها العربية فى مكتبة آيا صوفيا فى اسطنبول والتى نشرها محمد عبدالهادى أبو ريدة فى القاهرة فى منتصف القرن العشرين، فهو لاحق بنصف قرن لكتاب دى بور!.

ودى بور الذى كانت المؤشرات الخارجية (بخاصة كتاب "الفهرست"، وليس نصوص الكندى العربية المفقودة بغالبيتها حين إعداده كتابه) تؤكد له ريادة الكندى فى الفلسفة العربية والإسلامية، لم يفعل من أجل الكلام على «ريادة» الكندى سوى تأويل عناوين رسائله باللغة اللاتينية![١٤].

٤ - من الاسكندرية إلى بغداد :

والمرجع المعاصر المميَّز، بعد كتاب دى بور، الذى عالج مسألة بداية الفلسفة العربية والذى كان له أبلغ الأثر فى الدراسات حول هذا الموضوع هو بحث ماكس مايرهوف بالألمانية بعنوان: «من الإسكندرية إلى بغداد»[١٥]، بعد كتاب دى بور بثلاثة عقود يذكر فيها روايتين قديمتين حول نشأة الفلسفة فى الإسلام:

الرواية الأولى للفيلسوف **الفارابى** (وهو معاصر ابن النديم صاحب «الفهرست»، ومات قبل موت ابن النديم بأربعين عاماً) الذى يذكر فى كتاب مفقود له(؟) انتقال الفلسفة من الإسكندرية فى مصر إلى أنطاكية، فإلى مدينة حرَّان بالعراق، ومن أنطاكية أيضاً إلى مدينة مرو ببلاد الفرس وبعد ذلك إلى بغداد. وكل وسائط النقل والتعليم التى يذكرها هم أساتذة من السريان المسيحيين ومنهم اثنان كانا من أساتذة الفارابى وهما: يوحنا بن حيلان فى حرَّان، وأبو بشر متى بن يونس فى بغداد (هذه الرواية نقلها ابن أبى أصيبعة فى كتابه عيون الأنباء..»).

---

(١٤) راجع كتابنا : الكندى؛ مكانته عند مؤرخى الفلسفة العربية؛ دار الجيل؛ بيروت؛ ط١؛ ١٩٨٥.

(١٥) عرَّبها عبدالرحمن بدوى عن الألمانية ونشرها فى كتابه (التراث اليونانى فى الفلسفة العربية الإسلامية).

والرواية الثانية هى للمؤرخ المعروف **المسعودى** الذى توفى بعد موت الفارابى بحوالى خمس سنوات، أى أنه هو أيضاً كان معاصراً صاحب «الفهرست» ، وصديقه (؟) ، ذكرها فى كتابه الشهير «**التنبيه والإشراف**» . وهى مكملة لرواية الفارابى : فعند المسعودى أن الفلسفة انتقلت من أثينا إلى الاسكندرية فروما، فأنطاكية، فحرّان (زمن الخليفة المتوكل ، معاصر الكندى) ، وانتهى فى زمن الخليفة المعتضد إلى يوحنا بن حيلان وغيره، ثم إلى الفارابى (تلميذ يوحنا بن حيلان) وأخيراً إلى الفيلسوف السريانى يحيى بن عدى حيث يقول المسعودى: «**ولا اعلم فى هذا الوقت أحداً يُرجع إليه فى ذلك (أى الفلسفة والمنطق) إلا رجلاً واحداً من النصارى يُعرف بأبى زكريا بن عدى**»(١٦) .

إذاً بحسب روايات هذه الشخصيات الفكرية الإسلامية المرموقة : الفارابى والمسعودى وابن أبى أصيبعة، ان الذين أسسوا الفلسفة العربية هم من السريان النصارى الذين عاشوا فى كنف الدولة الإسلامية بعد ثلاثة قرون على نشأتها.

إلا أن المدهش فى هاتين الروايتين أنهما لا تأتيان على ذكر أىّ دور للفيلسوف الكندى فى نشأة الفلسفة العربية، مخالفتين بذلك الروايات اللاحقة التى أفردت الكندى دوراً مميزاً فى هذه النشأة.

٥ - كتاب الفهرست : التاريخ بثبت المؤلفات :

يعتبر كتاب الفهرست المرجع الأبرز على الإطلاق فى تأريخ بداية الفلسفة العربية والإسلامية، على الرغم من المآخذ العديدة التى يمكن توجيهها إليه. فهو يذكر «**السبب الذى من أجله كثرت كتب الفلسفة وغيرها من العلوم القديمة فى هذه البلاد**»، عبر روايات أربع تعتبر الأولى أن العلوم كلها مصدرها بابل القديمة ونقلت إلى اليونانية بعد سيطرة الإسكندرية على المنطقة، والثانية أن العلوم مصدرها فارس

(١٦) مايرهوف ؛ كتاب بدوى، ص ٦٤.

فانتقلت إلى بغداد حيث استخرجها يوحنا(؟)، ومنها «فى هذا الوقت عند شيخنا أبى سليمان» (السجستانى)[١٧] والثالثة : بلاد الروم النصرانية، والرابعة: كتب فى علوم اليونان أمر بترجمتها فى مصر الأمير الأموى خالد بن يزيد بن معاوية من اللسان اليونانى واللسان القبطى إلى العربى. وهذا أول نقل كان فى الإسلام من لغة إلى لغة»[١٨].

إلا أن الميزة الأهم لكتاب «الفهرست» هى أنه «يؤرخ» بداية الفلسفة العربية بثبت أسماء المؤلفات العربية والكتب المعربة جميعها ومن غير استثناء ، فيقول فى مطلع كتابه بثقة تامة:

«**هذا فهرست كتب جميع الأمم من العرب والعجم ، الموجود منها بلغة العرب..** وأخبار مصنفيها: تاريخ مواليدهم، ومبلغ أعمارهم وأوقات وفاتهم منذ ابتداء كل علم اختُرع، إلى عصرنا وهو سنة سبع وسبعين وثلثمائة للهجرة»(أى سنة٩٨٧م).

«فالفهرست» أول محاولة جدية واستثنائية لرصيد النتاج المكتوب عموماً فى الثقافة العربية برمّته ، لتاريخه، ورصد مؤلفات الفلسفة العربية الأولى وكانت نوعين: كتباً معرَّبة أما عن اليونانية مباشرة ، أو عن السريانية (المترجمة عن اليونانية) وأسماء مترجميها ومعربيها وجلهم من السريان وبعضهم من أصدقائه المقربين (كالفيلسوف والمترجم يحيى بن عدى).

إلا أن «الفهرست» الذى وضع بعد روايتى الفارابى والمسعودى السالفتى الذكر ، بحوالى أربعة عقود ، لا يأتى على ذكر هاتين الروايتين، كما لم يذكر صاحبيهما الشهيرين سوى بأربعة أسطر لكل واحد منهما، وبالمقابل يعطينا ابن النديم فى الفهرست أطول سيرة لمؤلف على الإطلاق وهى للكندى الذى عاش قبله بحوالى القرن!.

---

(١٧) الفهرست؛ ص ٣٠٢.

(١٨) الفهرست ؛ ص ٣٠٢ - ٣٠٣.

هذه السيرة المضخمة بشكل استثنائى تثير أكثر من تساؤل خصوصاً وأن الرسائل التى ذكر عناوينها لم ير غالبيتها أحد منذ التاريخ الأول المفترض لوضعها! يضاف إلى ذلك ما قيل فى سيرة الكندى ونسبته (الملكية) وكل ذلك من غير معرفة زمن ولادته وزمن وفاته! وقد تم فى الفهرست إضافة اسم الكندى إلى عدد من الشروحات العربية لبعض كتب أرسطو(١٩).

وأهمية «الفهرست» أنه أول مؤلف فى تراجم المؤلفين الذى أخذ عنه مؤلفو التراجم اللاحقون الذين عاشوا بعده بقرون عدة فعدلوا وأضافوا وهو يتميز عنهم جميعاً بأنه الأقرب إلى البدايات المفترضة للفلسفة الغربية. فكثير من المؤلفات التى ذكرها ضاعت لاحقاً (أو ربما كانت مفقودة فى عصره؟) ولم يبق منها سوى عناوينها الأصلية، ومصطلحاتها الأصلية.

مهما يكن فابن النديم فى الفهرست يرى أن أولى الكتابات الفلسفية العربية (الفلسفة بوصفها مجموعة العلوم الداخلية) قام بها السريان النصارى فى بغداد خصوصاً وكانوا مترجمين وعلماء مؤلفين باللغتين السريانية والعربية، وان «فيلسوف العرب» الأول هو الفيلسوف الكندى.

٦ - الجاحظ ومصطلحات (كبار المتكلمين):

يذكر الجاحظ فى كتابه «البيان والتبيين» الذى كتبه فى آواخر حياته المديدة (أى عندما كان الكندى فى آواخر حياته هو أيضاً) ، ظاهرة نشأة ألفاظ جديدة مستحدثة فى اللغة العربية، من غير أن يذكر أنها مصطلحات فلسفية، ناسباً كلامه إلى بُشر بن المعتمر المعتزلى (المتوفى عام ٢١٠هـ/ ٨٢٥م، أى عندما كان الكندى فى حوالى الخامسة والعشرين من عمره)، أن «كبار المتكلمين ورؤساء النظارين.. هم تخيروا تلك الألفاظ [المستحدثة] لتلك المعانى، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء، **وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن فى لغة العرب اسم**، فصاروا فى ذلك

---

(١٩) راجع دراستنا النقدية حول هذا الموضوع فى كتابنا «وعى الذات وصدمة الآخر» ، م.س. ، ص ١٦١ وما بعدها.

سلفاً لكل خلف، وقدوةً لكل تابع، ولذلك قالوا: **العرض، والجوهر، وأيس، وليس.. وذكروا الهذية، والهوّية، والماهيَّة**، وأشباه ذلك. . . »[٢٠].

وهذا الرأى للجاحظ، معاصر الكندى، لا يفرد أى دور للكندى فى صوغ المصطلحات الفلسفية العربية، كما زعم لاحقاً بعض مؤرخى الفلسفة العربية[٢١].

إلا أن الجاحظ، كما يبدو غير مطلع على ما كان يجرى فى زمانه من حركة ترجمة كبرى. فالمترجمون - وليس رؤساء النظارين - هم أول من اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له فى لغة العرب اسم ، وهم كانوا السلف للمتكلمين.

ويروى الجاحظ أيضاً، فى المكان ذاته من كتابه، وبشىء من السخرية خطبة ألقاها أحد الخطباء فى وسط دار الخلافة حيث قال: «وأخرجه الله من باب الليسيَّة فأدخله فى باب الأيسية».

٧ - مصطلحات أدب الكتّاب:

فى دراسة قيمَّة (بالإنجليزية) للدكتور سهيل أفنان[٢٢] يبيِّن فيها أن النثر الفلسفى العربى فى أول عهده تأثر ، أسلوباً ومضموناً بثلاثة مصادر: بالنثر الدينى الإسلامى (المواعظ والتفسير، والفقه. . .)، وبالنثر غير الدينى وهو ثلاثة أنواع: « أدب الرسائل» ، وأدب البلاط، والأدب الخالص، وأخيراً بنثر المعتزلة.

ويقدم نموذجين فى النثر غير الدينى هما: **عبدالحميد الكاتب وعبدالله بن المقفع** حيث نجد عندهما مصطلحات جديدة استُعملت لاحقاً كمصطلحات فلسفية مثل: التجربة - الرويَّة - الجوهر - الغاية - المادَّة - الغريزة - أدب. كما نجد أيضاً ألفاظاً

---

(٢٠) البيان والتبيين؛ ص ٨٨.

(٢١) يقول، مثلاً، الدكتور حسام محى الدين الألوسى : ان :أول مَن استخدم هذين المصطلحين (أيس وليس) حسب علمى: الكندى راجع كتابه حوار بين الفلاسفة والمتكلمين ، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر؛ ط٢؛ ١٩٨٠؛ ص٢٩، هـ ٤٠ ، وهذا الموقف مشترك بين العديد من الباحثين.

(٢٢) Soheil Afnan. Philosphical Lexicon in Persian and Arabic . Dar El- Mashreq : Beirut' 1969.

قرآنية ولكن بمعان غير قرآنية (وأحياناً بصيغ لغوية مختلفة) مثل: إدراك - اعتقاد - المخترع - المبتدع - اللب - التفكير - إرادة - الآلة - معنى - متحيِّز - مسألة - معرفة - لفظ - موضوع - المنطق. .

ويرى أفنان الآداب فى العربية ذات أصول فارسية لا بل يشدد على أن المنطق الأرسطى إنما متزجم أولاً من الفارسية(٢٣).

٨ - علم كلام عربى ومسيحى:

والجدل الكلامى الواسع بين المذاهب الذى له تراث سابق للإسلام فى البيئة الشرقية بين السريان، ولاحقاً مع المسلمين(٢٤)، ومن ثم بين المذاهب الإسلامية، أدَّى إلى بروز علم كلام مسيحى يكتب لأول مرة باللغة العربية(٢٥)، ويدعم فيها ثاوذورس صراحة، وباللغة العربية، نظرية حدوث العالم التى يعتبرها متوافقة مع الدين المسيحى وينتقد نظرية قِدَم العالم التى يقول بها الفلاسفة.

٩ - وجوه الكندى:

بعد نشر رسائل الكندى الفلسفية فى منتصف القرن الماضى، تراجع بعض الباحثين عن اعتبار الفارابى مؤسس الفلسفة العربية الإسلامية، متحولين (وبشكل انقلابى) إلى اعتبار الكندى هو المؤسس الحقيقى بلا منازغ ، وأشهر نموذج على ذلك هو محمد عبدالهادى أبو ريدة: ففى ترجمته لكتاب دى بور: « تاريخ الفلسفة فى

---

(٢٣) يستشهد أفنان بكلام الجاحظ فى كتبه «التاج» يقول فيه أن مصادر الأدب العربى فارسية. إلا أن النقاد الاختصاصيين المعاصرين يشكون بصحة نسبة هذا الكتاب (التاج) للجاحظ.

(٢٤) راجع عناوين مؤلفات المعتزلة التى تدل صراحة على هذا الجدل الشفهى الواسع والكتابى الأقل اتساعاً ، مثل: الرد على النصارى - الرد على اليهود - الرد على الملحدين - الرد على الزنادقة.

(٢٥) ثمة كتابان هنا من تأليف الأسقف الحرانى السريانى ثاوذورس أبو قرَّة الذى توفى فى خلافة المأمون عام (٢١٠هـ / ٨٢٥م ، وعند موته كان الكندى دون الخامسة والعشرين!).

الأول بعنوان : « ميمر من وجود الخالق والدين القويم» تحقيق الأب اغناطيوس ديك، جونيه (لبنان) ، المكتبة البولسية ، ١٩٨٢، سلسلة التراث العربى المسيحى.

والثانى بعنوان «ميمر فى اكرام الايقونات» ، ١٩٨٦ (المحقق نفسه، ودار النشر نفسها) و«الميمر» بالسريانية، يعنى: المبحث، أو المثال أو الرسالة. . . ودخل هذا المصطلح فى نصوص عربية عدة، وفى عناوينها، عائدة لتلك المرحلة.

الإسلام» يقول (عام ١٩٣٨) : «قد لا نكون بعيدين عن الصواب إذا قرّرنا ان **الفارابى أول فلاسفة الإسلام على الحقيقة**»[٢٦]، ولكنه فى نشرته لرسائل الكندى الفلسفية (عام ١٩٥٠) بعد المبسملة والحمدلة، يقول بما يشبه التوبة عن الخطأ: «..**وبعد فإن الكندى أول فلاسفة الإسلام على الحقيقة**..»[٢٧].

١٠- خاتمـــة :

فى موقف معبر لدى بور فى الجدل الذى لا يزال قائماً حول بداية الفلسفة العربية : « **العصر الذى انتقلت فيه العلوم اليونانية إلى الغرب هو عصر غامض وممتع معاً**»[٢٨]، ولأنه غامض وممتع فهو يثير خلافات واسعة تعبِّر فى المطاف الأخير عن الموقف عن حركية التراث الذى يعكس خلافات راهنة معرفية وايديولوچية حول الحاضر والمستقبل من خلال الخلاف على صورة الماضى.

أن الصراع على تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية، بخاصة فى بداياتها ومنعطفاتها الكبرى، ليس معركة جزئية ومنعزلة، فطرفا النقيض فيها يمثله **رينان** القائل بأن ليس هناك ما يمكن تسميته فلسفة عربية بل هناك فلسفة يونانية مكتوبة بأحرف عربية! والموقف الذى يمثله على **سامى النشّار** القائل بأن المتكلمين والفقهاء المسلمين هم فلاسفة الإسلام الحقيقيون، أما «الكندى والفارابى وابن سينا وابن رشد وغيرهم(فهُم) مجرد امتداد للروح الهللينية فى العالم الإسلامى»[٢٩]، «وان ما لدى الكندى وابن رشد من عقلانية أصيلة إنما هى عقلانية مستعارة من المعتزلة والماتريدية وغيرهم من مفكرين مسلمين»[٣٠].

---

(٢٦) م.س، ص ١٢٧، وهذا رأى القدامى (صاعد، وابن القفطى..) والمعاصرين (ديتريصى، مدكور..).

(٢٧) رسائل الكندى الفلسفية؛ ص هـ.

(٢٨) دى بور؛ م.س، ص ١١٥.

(٢٩) على سامى النشار، مناهج البحث عند مفكرى الإسلام.. القاهرة؛ دار المعارف ط٤؛ ١٩٧٨، ص٢٧٥. وتجدر الإشارة إلى كتاباً يحمل عنواناً كهذا، ومن حوالى ثلاثمائة صفحة، لم يأت مؤلفه على ذكر الكندى، فيلسوف العرب، إلا فى أواخر الكتاب!!

(٣٠) النشار. نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام؛ القاهرة، دار المعارف؛ ط٧، ١٩٧٧، ص١٨.

وبين هذين الموقفين من يجد أن الإنجازات المعرفية التى قدمها الفلاسفة العرب والمسلمون فى تلك المرحلة ، التى يسميها الأوروبيون بالقرون الوسطى المظلمة، هى أسطع ما عرفته الحضارة الإنسانية فى تلك الأعصر على الإطلاق.

إلا أن العوائق أمام معرفة معمَّقة لتلك المرحلة التأسيسية لواحدة من أكبر النهضات المعرفيةِ فى العالم القديم تعود إلى أزمات الوعى العربى الراهن المشحون بهزائم وآفاق مسدودة تجعله «ينتقم» بالتعبير عن المكبوت الذى يفرضه القمع الظاهر والخفى؛ بمواقف لا يتحكم فيها العقل الفاعل.

الفلسفة العربية هى ثمرة مثاقفة كبرى فى تاريخ البشرية قد تكون من أكبر المثاقفات على الإطلاق. وتتميز بشىء فريد واستثنائى : فالواهب لم يكن فى موقع القوى المهدد والموهوب لم يكن فى موقع الضعيف بل القوى بامتياز. هذا الشرط هو الكامن وراء تلك السرعة الفائقة التى حوَّلت الثقافة العربية فى فترة قصيرة إلى مركزية معرفية وعلمية عالمية، كما حولت بغداد المدينة الناشئة حديثاً إلى أهم المراكز الثقافية فى العالم. ثمة رهان اليوم على «حوار الحضارات والتثاقف من غير هيمنة واستغلال وقهر» الإطار الذى نشأت فيه الفلسفة العربية الإسلامية هو نموذج يحتذى به لهذا الرهان الحاضر.